بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه فصول نقدية تحليلية تتناول جوانب من شعرنا العربى وأعلامه النابهين ابتغاء تقويمها وتقديرها بمعايير سديدة ، تجلو حقائقها وتكشف غوامضها وتوضح دقائقها ، وترد عنها الأحكام الخاطئة .

والموضوع الأول الذى تتناوله هذه الفصول هو تقويم تراثنا الشعرى وبيان تمثيله لحياة الأسلاف من جميع أنحائها التربوية والاجتماعية والسياسية والحربية مع ما يجرى فيه من المعانى الإنسانية والفلسفية والصوفية وما يجسّد من خصالنا النفسية والفكرية والشعورية .

والموضوع الثانى عرضٌ لموسيقى شعرنا العربى على مدار التاريخ وما توفّر لها قديماً من مرافقة الغناء للشعر واتساع تأثيره فيه ؛ مما دفع — على مر العصور — لتجديدات فى الأوزان والقوافى هيأتْ لظهور الموشحات وازدهار الأزجال والفنون الشعبية . حتى إذا كان العصر الحديث تكاثرت صور التطور وظهر الشعر المنثور والشعر الحرّ الجديد .

والموضوع الثالث بيانٌ مجمل لتجديد العباسيين فى مضمون الشعر وإطاره على أساس منهج ثابت من التزاوج بين العناصر الفنية الموروثة والعناصر الثقافية والحضارية الجديدة على نحو ما يتضح فى أغراض الشعر التقليدية ؛ مع النفوذ إلى أبعاد جديدة فى المضمون والمحتوى ومع تجديدات متنوعة فى الأوزان والقوافى .

والموضوع الرابع يعرض العروبة فى شعر المتنبى داحضاً المطاعن فى نسبه وما قيل من أنه كان قرمطياً وأن ثورته كانت فى سبيل الدعوة القرمطية ، مثبتاً فى وضوح أنه إنما ثار من أجل عروبته التى تعمقت نفسه سخطاً على الحكام الأعاجم الذين كانوا يسوسون الأمة لعصره وساموها العسف والخسف والظلم ، وقد أعلن ذلك فى

شعره مراراً وامتشق الحسام من أجله فى بوادى الشام ورفعه شعاراً أمام بصره حتى الأنفاس الأخيرة من حياته .

والموضوع الخامس يتناول التفكير الفلسفى فى شعر أبى العلاء ، مصححاً ماشاع خطأ بين بعض الباحثين من أنه كان يقول بقدم المادة والزمان والمكان والأفلاك وينكر الشرع وفرائضه الدينية والرسل والأنبياء والملائكة والجنّ والبعث والمعاد ، اعتماداً فى ذلك كله على أشعار منحولة أضيفت إليه أو على أفهام خاطئة لبعض أبياته ، وهو بَراء من كل ذلك ومن كل ما نُعت به من زَيْغ وضلال .

والموضوع السادس يصوّر شخصية الأندلس فى تاريخ الشعر العربى وما امتاز به الأندلسيون من خصال العنف الحاد والترف المسرف والشعور بالحرية الفردية وما اصطبغت به أشعارهم من صبغة التمسك بعناصر الفن التقليدية . مع تمثيلهم لحياتهم ولطرائف خيالهم وحسهم ، ومع ما بثّوا فى موشحاتهم من جمال الجَرْس واللحن والأداء .

والموضوع السابع يرسم قسمات الروح المصرية فى شعر ابن سناء الملك موضحاً تربيته وتمثيله للروح المصرية فى أمجادها الحربية لعصر صلاح الدين وصدوره عنها فى سهولة ألفاظه واستخدامه أحياناً الكلمات العامية ، مع الرقة والدماثة واستشعاره لمحبة وطنه وأسرته ، ومع الدعابة وخفة الظل ، ومع التعلق بالدين والإذعان لله ومشيئته .

والموضوع الثامن يعرض المجاهدات الروحية فى شعر ابن الفارض مبيناً أن مبادئ كثيرة فى الدين الحنيف دفعت إلى ازدهار التصوف والمحبة الربانية وأن شقاقاً حدث بين المتصوفة وأهل السنة ثم التأم صدعه ، وزادته الحروب الصليبية التئاماً . وحظيت مصر بابن الفارض أكبر من صوّر مجاهدات الصوفية فى المحبة الإلهية ، وأشعاره تصور عناءه الروحى وعشقه الملتهب فى خفايا قلبه وأحواله فيه ومقاماته وبخاصة مقام الفناء عن الوجود ومقام الصحو مع دوام الرؤية والشهود .

والموضوع التاسع يتناول نظرية الحقيقة المحمدية فى مدائح البوصيرى النبوية ، وكيف استحال تغنى المسلمين بشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تلك النظرية واضطرامها فى عصر الحروب الصليبية حمية للإسلام وصاحبه ، مما جعل

الشعراء — وعلى رأسهم البوصيرى — يكثرون فى مديحهم النبوى من تصويرها على نحو ما نقرأ فى قلادتيه النفيستين : الهمزية وأختها الميمية اليتيمة الفريدة .

والموضوع العاشر يتحدث عن صناعة الشعر المصرى فى القرن الماضى وما كان يبهظه ، حتى منتصفه ، من كُلَف ثقيلة أخذت تُنَحِّيها عن كواهله بوادرُ نهضة شعرية لم يلبث البارودى أن ثبَّت أصولها على قواعد من التوازن الدقيق بين التقاليد الفنية الموروثة وبين التعبير عن حياته وحياة أمته تعبيراً صادقاً .

والموضوع الحادى عشر عرضٌ لتطور الشعر العربى الحديث وما تعاقب فيه من مدارس واتجاهات وما يمتاز به كل اتجاه ومدرسة من خصائص ، سواء مدرسة النهضة أو مدرسة الجيل الجديد أو مدرسة المهاجَر الأمريكى أو جماعة أبوللو والمدرسة « الرومانسية » أو مدرسة الوجدان الاجتماعى التى تسود الآن فى البلاد العربية .

والموضوع الثانى عشر يوضح نواقص الإيقاع فى الشعر الحر الجديد مصوراً تكامل الألحان والأنغام فى شعرنا الموروث على نحوٍ لم يُعْرَفْ فى لغة أخرى قديمة أو حديثة ، ومناقشاً فى تفصيل ما سقط من أركان الإيقاع الشعرى القديم فى الإيقاع الجديد للشعر الحر وما أثار ذلك من جدل عنيف بين أنصار الإيقاعين ، مع بيان ما ينبغى أن يُكْفَلَ للإيقاع الجديد من عناصر نغمية ونِسَبٍ لحْنِيَّة تتلافى نواقصه وتردُّ عليه الرونق والبهاء .

والموضوع الثالث عشر يبيِّن اتصال الشعر العربى فى حاضره بماضيه وأن تلك سُنَّة دائمة فيه ، فمن يتعقب أطواره طوال العصور الماضية يلاحظ أن جديده موصول دائماً بقديمه دون انقطاع ، وكذلك الشأن فى العصر الحديث عند مدرسة النهضة التى حافظت بقوة على مقومات الصياغة التقليدية . وبالمثل المدارس التالية لها لا ينقطع اتصالها بالتراث الفنى مع تفاوت حظوظها فى هذا الاتصال .

والموضوع الرابع عشر يعرض حياة شوقى ومكانته فى الشعر العربى الحديث ، مصوراً صفاته وثقافته وشاعريته وما يمتاز به من خصائص فنية ، مع تجسيده المشاعر الوطنية والقومية لشعبه المصرى والشعوب العربية ، ومع إشادته بأمجاد مصر التاريخية وتعريبه لفن الشعر التمثيلى وتمصيره .

والموضوع الخامس عشر يدرس حافظ إبراهيم وشعره دراسة تاريخية ، موضحاً كيف تكامل له مبكّراً النطقُ عن أمته ومشاعرها الوطنية والعربية ، مع ما كان يستشعره من الدعوات الإصلاحية ومع ابتكاره لصورتين جديدتين من الشعر السياسى والاجتماعى ، وقد ظل يسدّد سهام أبياته إلى صدور الإنجليز الغاشمين حتى لبّى نداء ربه .

والله أسأل أن يُلْهمنى السَّدادَ فى القول والفكر والعمل ، وهو حَسْبى ، ونعم الوكيل .

القاهرة فى ١٥ من مايو سنة ١٩٧١ م .

شوقى ضيف